سيف البحر

دروس وعبر

د. إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الودعان

الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سِيف البَحر

دروس وعبر

إعداد الدكتور

إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الودعان

١٤٣٧هـ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذه قصّة سرية أبي عبيدة عامر بن الجرّاح ﷺ ،وتُسمّى غزوة سِيْف البحر ، أي : ساحل البحر، نُبْحِر بين سطورها ، نسْتَنْبط منها الفوائد ،ونلْتمِس منها الفرائد.

وخطة الكتاب : ذكر الحديث ثم الفوائد منه ،وكل فائدة أكتبها اذكر مصدرها الذي أخذتها منه في الحاشية من المكتبة الشاملة ،أو غيرها ، وقد أعدّل في العبارة قليلا ، أو أضيف ، ومالم اذكر مصدره فهو من استنباطي ، و لم استوعب جميع فوائد الحديث . وقد يكون للحديث عدة روايات، فلم استقص بذكر أرقام الروايات الأخرى .وإنما اكتفيت بما ذكرت .

هذا والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به كاتبه وقارئه ، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد .

المؤلف

د. إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الودعان

Ebrahim .F .W@Gmail.com

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قصّة سريّة أبي عبيدة ﷺ

عن أبي الزبير عن جابر ﷺ قال : " بَعَثَنا رسول الله ﷺ ، وأمّر علينا أبا عبيدة نتلقّى عِيرا لقريش، وزوّدنا جراباً (١) من تمر لم يجد لنا غيره ، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرةً تمرة . قال : فقلت: كيف كنتم تصنعون بها ؟ قال : نَمُصُّها كما يمصّ الصبيّ ، ثم نشرب عليها من الماء فتكفينا يومنا إلى الليل وكنا نضرب بعصينا الخبط ثم نبله بالماء فنأكله قال فانطلقنا على ساحل البحر فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم فأتيناه فإذا هي دابةٌ تدعى العنبر قال :فقال أبو عبيدة : ميتةٌ ! ثم قال : لا بل نحن رسلُ رسول الله ﷺ وفي سبيل الله ، وقد اضطررتم فكلوا ! قال : فأقمنا عليه شهراً ، ونحن ثلاثمائة حتى سمنّا قال ولقد رأيتنا نغترف من وَقْب (٢) عينيه بالقِلال(٣) الدهن ونقتطع منه الفِدَر(٤) كالثور أو كقَدْرِ الثور فلقد أخذ منّا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً فأقعدهم في وقب عينه ، وأخذ ضِلْعاً من أضلاعه فأقامها ، ثم رَحَّل أعظم بعيرٍ منا فمر من تحتها، وتزودنا من لحمه وشائق(٥) فلما قَدِمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا له ذلك فقال : هو رزقٌ أخرجه الله لكم . فهل معكم من لحمه شيءٌ فتُطْعمونا ؟ قال : فأرْسلْنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكله " . (٦) وفي رواية يقول جابر : " في جيش الخبط إن رجلا نحر ثلاث جزائر ثم ثلاثا ثم ثلاثا ثم نهاه أبو عبيدة " . (٧)

---

(١) الجِراب : وعَاء يحفظ فِيهِ الزَّاد وَنَحْوه .المعجم الوسيط . إبراهيم مصطفى ومجموعة ١١٤/١ .

(٢) الوَقْب : داخل العين ونقْرَتها . شرح صحيح مسلم للنووي ٨٤/١٣ .

(٣) القِلال : جمع قُلّة وهي الجرة الكبيرة التي يحملها الرجل بين يديه . المرجع السابق .

(٤) الفِدَرَ : القِطَعُ من اللحم . شرح صحيح مسلم للنووي ٨٧/١٣ .

(٥) الوشائق : اللحم الذي يُعلى ولا يُنضج ، ويُحمل في الأسفار ، وقيل : هو القديد . المرجع السابق .

(٦) صحيح البخاري ٣٥٨/١ رقم ٤٣٦٠ . صحيح مسلم ١٥٣٥/٣ رقم ١٩٣٥ واللفظ له .

(٧) صحيح البخاري ٣٥٩/١ رقم ٤٣٦١ . صحيح مسلم ١٥٣٦/٣ رقم ١٩٣٥ واللفظ له .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فوائد القصّة :

١- قول جابر رضي الله عنه : " من تمرٍ لم يجد لنا غيره " ، هكذا كان النبي ﷺ يعيش عَيْش أصحابه ، يأكلُ كما يأكلون ، ويجوع كما يجوعون ، فلم يجدْ عنده شيء غير هذا التمر ،ولو أراد الدنيا لأتته .

٢- هذه السرية ، والسرايا التي بعثها النبي ﷺ درّبت الصحابة على فنون القتال ، وركوب الخيل، والحرب على الإبل، والمناورة والخطة، والتحرّك ،والترقب.

٣- هذه الدوريات العسكرية عرّفت المسلمين الدروب، والطرق حول المدينة المنورة، وبذلك أدركوا نقاط القوة والضعف في المنطقة .

٤- أشعرت هذه الدوريّات العسكرية المتكررة القبائل المحيطة بقوة المسلمين، وكشفت جَرْأتهم في مواجهة قريش أكبر القبائل العربية وأقواها .

٥- نتيجة هذه القوة التي ظهرت للمسلمين استطاع المسلمون أن يقوموا بعقد بعض المعاهدات مع بعض قبائل المنطقة، والتي هي عبارة عن معاهدات حسن جوار، بل ودفاع مشترك. فعلى سبيل المثال عقد رسول الله ﷺ معاهدة مع قبيلة بني ضمرة، وذلك في غزوة الأبواء، كما عقد معاهدة مع قبيلة بني مدلج، وذلك في غزوة ذي العشيرة .

٦- كانت هذه الدوريات العسكرية ؛ الباحثة عن قوافل قريش التجارية ، بمثرلة إعلان إسلامي صريح للحرب على أهل مكة الكافرين . ([٨])

٧- هذه السرية كانت قبل صلح الحديبية ، ولكن أوردها ابن كثير تبعا للحافظ البيهقي ، رحمه الله ، بعد مؤتة وقبل غزوة الفتح . والله أعلم . ([٩]) ، وقال ابن الملقّن : وكانت في رجب سنة ثمان فيما ذكره ابن سعد . ([١٠])

٨- تعتبر سرية الخبط استمراراً لسياسة النبي ﷺ العسكرية لإضعاف قريش، ومحاصرتها اقتصادياً على المدى الطويل .

([٨]) من ٢-٦ مستفاد من مقال بعنوان : سرايا الرسول وفوائدها . د. راغب السرجاني . موقع قصّة الإسلام .

([٩]) البداية والنهاية لابن كثير ٥٠٤/٦ ومابعدها .

([١٠]) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقّن٥٣٥/٢١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٩- مواصلة الدعوة إلى الله ، وإبلاغ الإسلام إلى الناس كافة .

١٠- من المعلوم عند أهل السيَر أن الجيش إذا كان بقيادة النبي ﷺ لا يُسَّمى سرية بل غزوة، وأما السرية فهي الجزء من الجيش ؛ تكون بقيادة غيره من أصحابه ﷺ كما هو الحال في هذه السرية .

١١- نظرا للضائقة الاقتصادية التي كان يمر بها المسلمون في ذلك الوقت، فقد كان تموين هذا الجيش ضعيفا .

١٢- عندما كانوا ببعض الطريق فنِيَ طعامهم، فأمر أبو عبيدة بأزواد طعام الجيش فجُمِع فكان قدر وعاء كبير ، يقوتهم منه كل يوم قليلاً قليلاً، حتى أصبح نصيب الواحد منهم تمرة واحدة، وقد أدرك الصحابة صعوبة الموقف فتقبّلوا هذا الإجراء بصدور رحبة دون ضجر، بل إنهم ساهموا مع قائدهم في الإبقاء على التمرة أكبر وقت ممكن .

١٣- ظهرت في هذه السرية حكمة أبي عبيدة ﷺ حيث جمع الأزواد، وساوى بين المجاهدين في التوزيع ليستطيع بذلك تجاوز الأزمة .

١٤- جَمْعُ الأزوادِ درسٌ تعلّمه أبوعبيدة ﷺ من رسول الله ﷺ عملياً أكثر من مرة .

١٥- مواساة الجيش المسلم بعضهم بعضاً عند وقوع المجاعة .

١٦- الاجتماع على الطعام سَبَبٌ للبركة فيه .

١٧- ما أقدم عليه الصحابة ﷺ في هذه السرية من أكل ورق الشجر؛ دليل على صبرهم وقوتهم، وتمتعهم بفكر سليم هداهم إلى أكل ورق الشجر؛ كي يبقوا على أنفسهم، ولا يستسلموا للجوع فيَقضي عليهم .

١٨- التوكل على الله جعل لهم مخرجا مما هم فيه، فأطعمهم رزقا من عنده من حيث لا يحتسبون ، وصدق الله :" وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ " (١١)

١٩- ثبوت الكرامة لأولياء الله الصالحين ،فالذي قذفه البحر للصحابة في هذه السرية يؤخذ منه أنه كرامة لأولياء الله، لأن الصحابة ﷺ كانوا في الجهاد، وكانوا في مخمصة وفي مجاعة ، فأخرج الله لهم هذا الحوت ، كرامة منه سبحانه، وأطعم ثلاثمائة رجل منهم .

---

(١١) سورة الطلاق الآيتان ٢ – ٣ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢٠- تَوَقُّف الصحابة ﷺ في أول الأمر عن أكلهم لعدم معرفتهم بالحكم الذي لم يرد فيه نص قاطع من رسول الله ﷺ إلا في وقت متأخر، وذلك في الحديث الذي يرويه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ لما سُئِل عن البحر فقال : (هو الطهور ماؤه الحل ميتته) رواه أبو داود . ([١٢])

٢١- أظهر تحليل التمر الجاف - حسب المصادر الطبية - أن فيه ٧٠,٦% من الكربوهيدرات و٢,٥% من الدهن و٣٣% من الماء و١,٣٢% من الأملاح المعدنية و١٠% من الألياف وكميات من الكورامين وفيتامينات أ - ب١ - ب٢ - ج، ومن البروتين والسكر والزيت والكلس والحديد والفوسفور والكبريت والبوتاس والمنغنيز والكلورين والنحاس والكالسيوم والمنغنيزيوم. وهذا معناه أن للتمر قيمة غذائية عظيمة وهو مقوٍ للعضلات والأعصاب ومُرَمّم ومُؤخّر لمظاهر الشيخوخة . ([١٣])

٢٢- إباحة مَيتات البحر كلها سواء في ذلك ما مات بنفسه ، أو باصطياد . وقد أجمع المسلمون على إباحة السمك .

٢٣- بيان ما كان عليه الصحابة ﷺ من الزهد في الدنيا والتقلّل منها والصبر على الجوع وخشونة العيش واقدامهم على الغزو مع هذا الحال .

٢٤- الجيوش لا بدّ لها من أمير يضبطها ، وينقادون لأمره ونهيه .

٢٥- ينبغي أن يكون الأمير أفضل من في السريّة ، أو من أفضلهم .

٢٦- يستحب للرفقة من الناس-وإنْ قَلُّوا- أن يؤمّروا بعضهم عليهم ، وينقادوا له .

٢٧- جواز رصد أهل الحرب ،واغتيالهم ،والخروج لأخذ مالهم، واغتنامه .

٢٨- العِيْر هي: الإبل التي تحمل الطعام .

٢٩- يستحب للرفقة من المسافرين خلط أزوادهم ليكون أبرك ،وأحسن في العشرة ، وأن لا يختص بعضهم بأكل دون بعض .

([١٢]) من ٧-٢٠ مستفاد موقع إسلام ويب . مقال بعنوان : سرية الخَبَط (سيف البحر) فوائد وعبر .والحديث في سنن أبي داود ٣١/١ رقم ٨٣ .سنن ابن ماجة ١٣٦/١ رقم ٣٨٧ .سنن الترمذي ١٠٠/١ رقم ٦٩ . سنن النسائي الكبرى ٧٥/١ رقم ٥٨ . وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٥٧/١ رقم ٢٨٧٧ .

([١٣]) موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرّة (تمر) .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣٠- أبوعبيدة ﷺ قال أوّلا باجتهاده : إنّ هذا ميتة والميتةُ حرام ، فلا يحلّ لكم أكْلها . ثم تغيّر اجتهاده ، فقال : بل هو حلال لكم ، وإنْ كان ميتة ؛ لأنّكم في سبيل الله ،وقد اضطررتم،وقد أباح الله تعالى الميتة ؛ لمن كان مضطرّا غير باغ ،ولاعادٍ فكلوا .فأكلوا منه.

٣١- طلبُ النبي ﷺ من لحم العنبر ، وأكْله ذلك ؛ فإنما أراد به المبالغة في تطييب نفوسهم في حِلّه ، وأنّه لا شكّ في اباحته ، وأنه ﷺ يرتضيه لنفسه.

٣٢- لا بأس بسؤال الإنسان من مال صاحبه ، ومتاعه إدلالا عليه ، وليس هو من السؤال المنهيّ عنه ، إنما ذلك في حق الأجانب للتموّل والتكثّر ، وأمّا هذه فللمؤانسة والملاطفة والإدلال .

٣٣- جواز الاجتهاد في الأحكام في زمن النبي ﷺ كما يجوز بعده .

٣٤- يستحبُّ للمفتي أن يتعاطى بعض المباحات ؛ التي يَشُكُّ فيها المُسْتفتي إذا لم يكن فيه مشقّة على المفتي ، وكان فيه طمأنينة للمستفتي . (١٤)

٣٥- للمرء الذي يَنْشُد هدفاً ، ويتطلّع إلى تحقيقه أن يستريح قليلا ، لتجديد نشاطه .

٣٦- تُسمّى هذه الغزوة : سريّة الخَبَط ، لأنّهم أكلوا ورق الشجر ، كانوا يضربون ورق الشجر بعصيّهم فتسقط ، وسريّة سِيْف البحر ، أي ساحل البحر . (١٥)

٣٧- جواز أكل اللحم ولو أَنْتن ؛ إلاّ إن خيف منه الضرر فإنّه يَحْرُم. (١٦)

٣٨- إذا ضاق الحال ، واشتدّ على المسافر، وكان عنده من الزاد الشيء اليسير ؛ فإنّه لا يأكله دفعة واحدة ويرتقب غيره، بل يوزعه على الأيام، ولا يكون ذلك قادحًا في توكله على الله ؛ بل منسوبًا إلى حسن تدبيره . (١٧)

٣٩- قوة إيمان هؤلاء المبعوثين؛ إذ لو ضعف -والعياذ بالله- إيمانهم لما خرجوا وهم ثلاثمائة وليس معهم سوى جراب تمر.

٤٠- أخذ الزاد وتحمّل ثقله في الأسفار البعيدة، اقتداء بخير البرية ﷺ .

---

(١٤) من ٢٢-٣٤ مستفاد من شرح صحيح مسلم للنووي ٨٤/١٣ ومابعدها .

(١٥) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري للكرماني ١٨٢/١٦ومابعدها .التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقّن٥٣٥/٢١ .

(١٦) فتح الباري لابن حجر ٦١٩/٩ .

(١٧) الإفصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة ٣٧٢/١ ومابعدها .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤١- إنّ نَصْبَ ضِلع من أضلاع الحوت ، ثمّ دخول الفارس تحته، وقعود ثلاثة عشر رجلا داخل عينه ، إنّ فعل ذلك فيه اعتبار لخلق الله، وتفخيم لعظيم قدرته سبحانه ليعتبر بذلك المُخْبر ، ويتذكر بذلك السامع والقارئ .

٤٢- للإمام أن يحبس الناس في الغزو ويصبرهم على الجوع وعلى غير زاد، ويعللهم بما أمكن حتى يتم قصده.

٤٣- هذه التمرة إنما كانت تغني عنهم ببركة الجهاد مع رسول الله ﷺ فبارك الله لهم في التمرة حتى وجدوا لها مسدّا من الجوع . ([١٨])

٤٤- لا يعرف الإنسان قيمة النعمة التي بين يديه ؛ إلاّ حينما يفقدها .

٤٥- فضل التمر ومكانته لدى أهل الجزيرة .

٤٦- تعتبر هذه القصّة صورة حيّة ، ولوحة نابضة ، على مرأى ومسمع الناس ، لتنشيط العزائم ، وابتعاث الهمم .

٤٧- قد يحتاج الإنسان للبقاء على حياته ؛ حال المخمصة أن يأكل ورق الشجر ، وعُشْبَ الأرض ، وهو في الأصل مباح .

٤٨- جواز نهي الإمام وأمير الجيش للغزاة عن نحر ظهورهم وإن احتاجوا إليه خشية أن يحتاجوا إلى ظهرهم عند لقاء عدوهم، ويجب عليهم الطاعة إذا نهاهم. ([١٩])

٤٩- قوله : " نمصّها كما يمصّ الصبي " ،شبّه مصّهم للتمرة ، وحرصهم عليها ، واهتمامهم بها ؛ بمصّ الطفل ، لثدي أُمّه . بجامع أنّ كلّ واحد منهما محتاج لهذا الشيء لمصّه ، لأنه لاشيء غيره عنده .

٥٠- هذا الحديث درس في الاقتصاد ، ودرس في التخطيط ، ودرس في الصبر ، إلى غير ذلك من الدروس لمن تأمّلَ وتدبّر .

٥١- قوله : " فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم " ، الإنسان لا يمكن أن يرى من بعيد ، ولا يستطيع أن يميّز الشيء حتى يَقْرُب منه .فوصَفَ الحوت من بعيد على أنّه كثيب ضخم ، والكثيب: الرمل المستطيل المحدودب . ([٢٠])

([١٨]) من ٣٩-٤٣مستفاد من التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقّن ٥٢/١٦ ومابعدها . ١١٠/١٨ ومابعدها.

([١٩]) من ٤٧-٤٨ مستفاد من زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيّم ٣٤٥/٣ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٥٢- بيّن أبوعبيدة ثلاثة أمور في وقت واحد ،وبشكل سريع لاستباحة الميتة الملقاة على ساحل البحر : أ- أنّهم مبعوثون من قِبل محمد ﷺ ، فهم في مهمّة رسمية .

ب- أنّهم خرجوا مجاهدون في سبيل الله .

جـ أنّهم في حالة الاضطرار ، فلم يَعُدْ عندهم طعام يأكلونه .

٥٣- قوله في الرواية التي معنا: " فأقمنا عليه شهرا " وفى الرواية الثانية: " فأكلنا منها نصف شهر "([٢١])وفى الثالثة: " فأكل منها الجيش ثماني عشرة ليلة " ([٢٢]) طريق الجمع بين الروايات أن من روى شهرا هو الأصل ، ومعه زيادة علم ،ومن روى دونه لم ينف الزيادة، ولو نفاها قُدّم المُثْبِت .وعند الأصوليين أن مفهوم العدد لا حكم له ،فلا يلزم منه نفي الزيادة لو لم يعارضه إثبات الزيادة ، كيف وقد عارضه ! فوجب قبول الزيادة .وجمع القاضي بينهمابأنّ من قال نصف شهر أراد أكلوا منه تلك المدة طريّاً ، ومن قال شهرا أراد قدّدوه فأكلوا منه بقية الشهر قديدا أي : مجفّفا ، والله أعلم . ([٢٣])

٥٤- لم يكن عندهم ثلاجات أو برّادات ، لحفظ الطعام ، سواء أكان لحما أم غيره ، إنما كانوا يصنعون اللحم قديدا ، يملّحونه ، ويضعونه في الشمس مدّة حتى يجفّ ، لئلا ينتن ويتغيّر .

٥٥- كان أبوعبيدة ﷺ رجلاً إيجابيا ، فاعلاً ، و لم يكن ينظر إلى ذاته فقط .

٥٦- الطعام يُعيد للجسم قوّته ، ونشاطه ، بل ويُعِينُه على التفكير الصحيح .

٥٧- على المسلم أن يتزوّد لسفره بما يحتاجه ، وهذا من التوكل على الله .

٥٨- حينما يتزود الإنسان لسفره ، يستشعر لحظتها التزود لسفره للدار الآخرة .

٥٩- رغم ماواجه هذه السريّة من الجوع ، والتعب ، إلاّ أنه لم يكن هناك مشاكل مرّت عليهم ، ولا خلافات ونحو ذلك ، سوى ماحصل من ألم الجوع ، وماتبعه من ضربٍ لأغصان الشجر ، وأكلٍ للورق الساقط منه ، والذي اشترك فيه الجميع .

([٢٠]) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١٥٢/٤ .

([٢١]) صحيح البخاري ٣٦٠/١ رقم ٤٣٦٢ .

([٢٢]) المرجع السابق ٣٥٩/١ رقم ٤٣٦١ .

([٢٣]) شرح النووي على صحيح مسلم ٨٧/١٣ ومابعدها .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٦٠- أهميّة أوراق الشجر في حياة الإنسان والحيوان .

٦١- تُحسّ بأنّ ثمّة تأثّر نفسي لأوّل وهلة تحت كلمة : ميتة ! التي قالها أبوعبيدة ﷺ ساعة رؤيته الحوت .

٦٢- يعتبر جابر ﷺ الذي قصّ لنا هذه القصّة ؛ من كبار الصحابة ، ومن فقهائهم ، وعلمائهم ، الذين يؤخذ منهم الفقه والعلم .

٦٣- عِظَمُ هذا الحوت الذي أخرجه الله للصحابة ﷺ ، وهو يدلّ أيضا على عظَمَة الله ، فهذا واحد من مخلوقاته ؛ عظيم بهذا الشكل ، فالله سبحانه هو العظيم .

٦٤- كان ﷺ هو القائد ، وهو الإمام ، وهو المعلّم الأول لأصحابه ﷺ ،فهو الذي يضع أمراء الجيش ، وهو الذي يوجّههم ، ويرشدهم ، ويضع لهم الأسس التي يسيرون عليها في المعركة ، وطريقة التنفيذ ، والتطبيق من لَدُن أمير الجيش ، ومَن تحته .من قوله : " بعثنا رسول الله ﷺ " ومن قوله : " وأمّر علينا أباعبيدة " .

٦٥- قول الراوي لجابر ﷺ : " كيف كنتم تصنعون بها ؟ " يعني بذلك التمرة التي يستلمونها كزادٍ يومي لكل واحد .وهو سؤال استغراب ، واندهاش ، واستفهام .

٦٦- الأدب في طرح السؤال .

٦٧- من طُرُقِ أخذ العلم : السؤال .

٦٨- على طالب العلم أنْ لا يخجل من طرح السؤال ، لكي يستفيد هو ، ويفيد غيره .

٦٩- حرص التابعين على طلب العلم من الصحابة ﷺ .

٧٠- بعث الرسول ﷺ هذه الغزوة إلى ساحل البحر يتلقون عيراً لقريش، وكذلك جاء أن النبي ﷺ بعثهم إلى حي من جهينة من المشركين مما يلي ساحل البحر، بينهم وبين المدينة خمس ليال، وأنهم انصرفوا و لم يلقوا كيداً، أي: هؤلاء الصحابة ذهبوا و لم يجدوا حرباً، وكانت هذه السرية في رجب سنة ثمانٍ، ولا مانع أن يكون النبي عليه الصلاة والسلام بعث هذه السرية لهدفين: الهدف الأول: إلى هذا الحي من جهينة من المشركين. والهدف الثاني: تلقي عير قريش، فتكون هذه السرية مزدوجة الهدف، أراد النبي عليه الصلاة والسلام أن يصيب أكثر من هدف بهذه السرية .

٧١- حِلّ أموال المحاربين للمسلمين .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٧٢ـ أبو عبيدة بن الجراح ﷺ بالإضافة إلى كونه أمين هذه الأمة فهو كذلك قائد عسكري مظفر، وله خبرة واسعة في القتال، ولذلك ليس بغريب أن يوليه عمر ﷺ بعد خالد قيادة جيوش المسلمين، القيادة العامة لجيوش المسلمين.

٧٣- من أهم الأشياء في الجيوش التموين، لأن التموين مهم لاستمرارية التحرك نحو الهدف ومن ثَمّ تحقيق الهدف والعودة .

٧٤- على القائد أن يرفق بجنوده ، ويراعي أحوالهم ، ويَحلُم عليهم .

٧٥- وضع البخاري -رحمه الله- هذا الحديث في كتاب الشركة من صحيحه ؛ لأن أبا عبيدة جمع ما عندهم من التمر فصار يوزّع على الجميع من مال الجميع، فصاروا كأنهم شركاء .

٧٦- عدم ترك الجهاد في حال الشدة، فالصحابة ﷺ مع الشدة ما تركوا الجهاد في سبيل الله .

٧٧- أن أبا عبيدة ﷺ لما أمرهم فأقاموا هذا الضلع من أضلاع الحوت، ومرّ تحته الركب، و لم يصطدم رأس الرجل بالعظم ، لم يعتبر العلماء هذا من العبث، وإضاعة الوقت؛ إنّما هو ترويح مباح .

٧٨- جواز أكل السمك الطافي، الذي مات من نفسه، خلافاً لبعض الحنفية الذين يرون عدم جواز أكل هذا، ولكن الراجح -حسب ما دل عليه الحديث والسنة الصحيحة- جواز أكل الطافي من السمك، وما ألقاه البحر إلى الشاطئ .

٧٩- انظر إذا أراد الله أن يطعم كيف يطعم!! أطعمهم بهذه الوليمة الفاخرة، حوت يكفيهم شهراً، أكلوا منه، وحملوا معهم إلى المدينة ، وقطعوا من اللحم، وأخذوا من الدهن واستمتعوا به، رزق ساقه الله إليهم.

٨٠- منقبة وفضيلة لأبي عبيدة ﷺ .

٨١- كَرَم هذا الصحابي أعني : قيس بن سعد ﷺ .([٢٤])

([٢٤]) من ٧٠-٨١ مستفاد من محاضرة مقروءة بعنوان "وليمة سمك"للشيخ محمد بن صالح المنجد .موقع إسلام ويب.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٨٢- الجوع مصيبة من المصائب ، وآفة من الآفات ، وداهية من الدواهي ،يُغيّر حالة الإنسان ، وحياته ، وقد يفقده دينه .فلذلك تعوّذ منه النبي ﷺ لخطورته ، فقال :" اللهم إنّي أعوذ بك من الجوع ، فإنّه بئس الضّجيع " . ([٢٥])

٨٣- سمّى الصحابي الحوت ، ووصفه بأنّه (دابّة) ، فكلّ مايمشي على الأرض ، ويدبّ ، فهو دابّة ، كما قال سبحانه : " والله خلق كل دابّة من ماء " . ([٢٦])

٨٤- تواضع النبي ﷺ ، ولِيْن مَعْشره .

٨٥- حُبّ النبي ﷺ لأصحابه .

٨٦- حرص النبي ﷺ على أصحابه ، واهتمامه بهم ، ورعايته لهم ، وتربيتهم .

٨٧- نِعَمُ الله على عباده كثيرة لا تُحصى .

٨٨- جابر رضي الله عنه يحكي لنا قصّة غزوة عاشها ، وخاض غِمارها ، وذاق فيها مرارة الجوع ، ويصوّر لنا الحالة التي وصلوا إليها ، تصويرا دقيقا ، وكأن الموقف حيّا ماثلا أمامنا .

٨٩- طريق الدعوة إلى الله مليء بالصِّعاب ، والشدائد ، وليس مفروشا بالورود .

٩٠- لم يذكر لنا الراوي أنّهم صادوا شيئا ؛ من حيوانات البرّ ، مع توفّر ذلك عندهم ، وخبرة الصحابة رضي الله عنهم في الصيد ، فإمّا أنه لم يكن يوجد في طريقهم منه شيء ، أو إنّهم مما أصابهم ؛ لم يقدر أحدهم أن يبحث عنه ، أو سببا غير ذلك .

٩١- من أسماء الله الرزّاق ، الذي يرزق عباده، ويعطيهم من واسع فضله وكرمه .

٩٢- الإنسان في حياته ، يمرّ بعدّة مراحل ؛ يتقلّب فيها ، ويقدّرها الله له : كالجوع ، والشّبع ، والراحة ، والتعب ،وغير ذلك .

٩٣- عناية النبي ﷺ ، واهتمامه بتجهيز هذه السريّة ، باختيار الرجال لها ، وعددهم ٣٠٠ رجل ، واختيار القائد ، وهو : أبوعبيدة رضي الله عنه ، واختيار المهمة لها ، وهي : الترصّد لعير قريش ، وتزويدها بالمؤونة ، وهي : الماء والتمر .

([٢٥]) سنن أبي داود ٥٦٧/١ رقم ١٥٤٩ . سنن ابن ماجة ١١١٣/٢ رقم ٣٣٥٤ . سنن النسائي الكبرى ٤٥٢/٤ رقم ٧٨٥٢ .المستدرك على الصحيحين للحاكم وصححه ٥٣٣/١ . وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٢٧١/٥ رقم ١٣٨٣ .

([٢٦]) سورة النور آية ٤٥ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٩٤- ذَبَحَ قيس ﷺ كُلّ يوم ثلاثة جَزور ، لمدة ثلاثة أيام ، أي إنّه ذبح تسعة لكل مائة رجل جَزور واحد ، وهذا شيء تعارفت عليه العرب ، أن الناقة الواحدة تكفي طعاما لمائة رجل .

٩٥- ترك الصحابة ﷺ الراحة ، والقعود بين الأهل والأولاد ، وامتثلوا بالخروج للغزو طاعة لله ، ولرسوله ﷺ .

٩٦- المواجهة بين الحق ، والباطل ، وهذا أمر كائن إلى يوم القيامة . فمحمد ﷺ وصحبه ﷺ على الحق ، وقريش ومن معها على الباطل .

٩٧- اتخاذ القرار ، وعدم التراجع فيه ، مهمّ جدّا ، إذْ يُمثّل منعطفا تاريخيا ومصيريا في حياة الإنسان ، يتمثّل هذا في اتخاذ النبي ﷺ بعث الجيش ، وقرار أبي عبيدة ﷺ في الأكل من الحوت .

٩٨- على المسلم ان يتكيّف مع الوضع الجديد الذي قدّره الله عليه ، وعليه ألاّ يستسلم ، ويقنط من رحمة الله .

٩٩- حرص جابر ﷺ أنْ يَقصّ هذه الغزوة ، ويذكر مالقوا فيها من جوع ، وتعب ، لما في ذلك من العِظَة ، والعبرة ، والدروس التي تؤخذ منها .

١٠٠- يحتاج الداعية إلى الله إلى زادين ؛ لا ينْفكّان عن بعض ، الزاد المادي ، وهو هنا التمر والماء ، والزاد المعنوي ، وهو الإيمان الذي يَعْمُرُ القلوب .

١٠١- البعثُ الذي خرج لهذه الغزوة ؛ كانوا صُحْبَةً مباركة ، فأنْعِم ، وأكْرِم بهم من صحبة .

١٠٢- عِظَم ، وخُطورة أمر الفتيا .

١٠٣- من الأسباب الكبيرة لنجاح أي معركة ، أن يكون للجيش قائدا ، ثانيا : طاعة الجنود لأميرهم .ثالثا : وهو أمر مهمّ وهو : تحديد هدف المعركة ، مع التخطيط لها .

١٠٤- قسوة الصحراء ، وأرض الجزيرة ، ومع ذلك استطاع العربيّ العيش على أرضها ، والتأقلم مع طبيعتها .

١٠٥- لم يصف لنا الراوي فرحتهم ، وسعادتهم بما أخرج الله لهم من رزق البحر ، لكنك تلمس هذه الفرحة ، وذلك السرور يكمن خلف ثنايا حروف كلمات القائد أبي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عبيدة : " مَيْتةُ ! ثم قال : لا بل نحن رسلُ رسول الله ﷺ وفي سبيل الله ، وقد اضطررتم فكلوا ! " .

١٠٦- الحياة فيها معاناة ، وليس هناك أحدٌ مرتاحٌ راحةً تامة ، قال سبحانه : " لقد خلقنا الإنسان في كبد "(٢٧) ، إنما الراحة في الجنّة .

١٠٧- قول الصحابي : "فلما قَدِمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا له ذلك " ، يدلّ على أنّهم أعطوا النبي ﷺ تقريرا مفصّلا عن الغزوة ، وعمّا وقع لهم فيها .

١٠٨- لولا مكابدة البلاء ، والصبر على المشاقّ ، لما نِيْلَت مرتبة ،ولما حِيزت مَنْقَبَة. (٢٨)

١٠٩- في قول جابر رضي الله عنه : " إن رجلا نحر ثلاث جزائر " أبهم ذكر الصحابي الذي نحر هذه الإبل ، إمّا لأنه لا فائدة من ذكره ، فالأهمّ هو الفعل ، أو أنه نسي اسم الصحابي ، وهذا بعيد ، أو إنّه سِتْرا عليه ، خشيةً عليه من أنْ يُحْمَد بفعله ، وهو يريد أن يكون عمَلُه خالصا لله .

١١٠- الصحابي الذي نحر الجَزور لثلاثة أيام هو: قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري. (٢٩)

١١١- فعل قيس بن عبادة رضي الله عنه يدلّ على أصالة المعدن ، وسموّ النّفس ، وعلوّ همّتها .

---

(٢٧) سورة البلد آية ٤ .

(٢٨) لطائف المعارف لابن رجب ١/٤ بتصرف.

(٢٩) جاء ذكر الصحابي قيس بن عبادة مُصرّحا به في رواية البخاري ١/٣٥٩ رقم ٤٣٦١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخاتمـــة

في ختام هذه القصة المباركة :

وفي نهاية المطاف ، وبعد أن عشنا سوياً مع هذه القصة العظيمة ، وما استنبطناه من دروس وعبر ، واستلهمناه من فوائد وحِكَم ، أجدُ لزاماً عليّ أن أقول : إن على المسلم أن لا يستسلم لليأس ، ولايَقْعُدُ به الخَوَر والضَّعف للبحث عن طريق العزّة والكرامة ، وحريّ بكل من يقول لا إله إلاّ الله ، أن يجعل له في هذه الحياة رسالة يعيش لها ، ويموت من أجلها.

ولقد رأينا كيف أنّ هذا الجيش ، خرج من وطنه المدينة ؛ متحمّلاً المشاق ، مواجها للمتاعب ،صابرا على الجوع ، مستقبلا وهَج الشمس ، ولهيب الصحراء ؛ له هدف واحد ، وجّهه النبي ﷺ إليه ، وضحى بكل شيء في سبيله ، ومن أجل إعلاء لا إله إلا الله. إنها صورة حيّة وواقعية من أجمل الصور، ولوحة رائعة متحركة تحكي أعظم العبر.

إنّ الذي يعيش في هذه الحياة بلا هدف أو رسالة ، لن يتقدم أبدا ، بل سيظلّ في مكانه ، مهما طال به الزمان ، لا يؤبه له ، ولا يلتفت إليه ، وسيعيش إنسانا عاديا بسيطا .

قد هيّؤوك لأمــر لو فطنت له ** ** فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهَمَل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
مقدّمــة	١
قصّة سريّة أبي عبيدة رضي الله عنه	٢
فوائد القصّــة	٣
الخاتمــة	١٤
فهرس الموضوعات	١٥